تدبر سورة القيامة

من عدة تفاسير مع ربط أقوال المفسرين ببعضها

أ. ريم عبد الفتاح

شمل التدبر خمس خطوات كالتالي:

الخطوة الأولى: مدخل للسورة وبيان هل هي سورة مكية مدنية أم مدنية، عدد الآيات موضوعات السورة، اسمائها وفضلها.

الخطوة الثانية: تفسير السورة من عدة تفاسير ونقل أراء المفسرين وربطها ببعضها بالتدرج وبطريقة سهلة وسلسة.

الخطوة الثالثة: تفسير السورة كلمة كلمة.

الخطوة الرابعة: تحليل آيات المتشابه اللفظي في السورة ونقل أراء العلماء قديماً وحديثاً.

الخطوة الخامسة: كيف نتدبر السورة؟ كيف نمرر السورة على قلوبنا.

مفرغة من دروس الأستاذة: ريم عبد الفتاح جزاها الله عنا خير الجزاء.

لسماع الدروس صوتيا ادخلي لقناة تدبر القرآن خلال الرابط

https://t.me/joinchat/O7sPAy6MMo0RKzJC

الدروس المقروءة والتفريغات للنساء والرجال والدروس الصوتية للنساء فقط

تدبر سورة القيامة

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله. إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله تعالى فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا.

ثم أما بعد

فإن أصدق الحديث كلام الله تعالى، وأن خير الهدي هدِي محمد ﷺ وإن شر الأمور محدثاتها وأن كل محدثة بدعة وأن كل بدعة ضلالة وأن كل ضلالة في النار. اللهم إنا نسألك علمًا نافعًا ونعوذ بك من علم لا ينفع اللهم إنا نسألك علمًا يباشر قلوبنا فتخشع وتنيب وتخبت لك يا رب العالمين. اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا. اللهم اهدنا لما أُختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم اللهم اهدنا إلى الصراط المستقيم يا رب العالمين. ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، اسأل الله عز وجل أن يجعلنا دومًا من الشاكرين الحامدين، ولكي ننتفع بالعلم أخواتي لابد من أمرين:

لابد من تطهير القلب، لأن العلم منتفع به صاحب القلب الطاهر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ اللهم أرزقنا قلوبًا خاشعة طاهرة وطهرها من كل ما لا يرضيك عنا يا رب.

القلب الخاشع الطاهر المخلص لله عز وجل لا يبتغي بعمله إلا مرضاة الله عز وجل وايضًا لا يحمل غلًا ولا حقدًا ولا حسدًا لأحد من المسلمين.

ايضًا لابد من العمل بالعلم يقول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾

فهنا تدبري ﴿فَعَلُوا﴾ العبرة بالفعل، ليس العبرة بسماع المواعظ إنما الأمر لابد أن نعقد العزم من البداية على العمل. اسأل الله عز وجل أن يوفقنا للعمل وأن يفتح لنا فتحًا مبينًا وأن يوفقنا دوما لكل ما يحب ويرضى. أسأل الله عز وجل ان يفتح لنا فتحا مبينًا، وان يرزقنا أعمارًا مباركة نفنيها في تدبر كتابه.

مدخل السورة

يقول ابن عاشور: عُنونت بسورة القيامة لوقوع القسم بيوم القيامة في أولها ولم يُقسم به فيما نزل قبلها من السور. ويقول ابن عاشور ان صاحب كتاب الاتقان (السيوطي) لم يذكرها مع السور ذات الأكثر من اسم، ونقل عن الالوسي انها يقال لها سورة لا اقسم. وهي سورة مكية تعدادها في نزول القرآن الحادية والثلاثون، نزلت بعد سورة القارعة وقبل سورة الهمزة. عدد آياها عند أهل العدد تسع وثلاثون آية في معظم الامصار اما أهل الكوفة فقد عدوها أربعين آية.

أغراض وموضوعات السورة

يقول ابن عاشور: اشتملت على اثبات البعث والتذكير بيوم القيامة وذكر اشراطه واثبات الجزاء على الاعمال التي عملها الناس الدنيا واختلاف أحوال أهل السعادة وتكريمهم وأهل الشقاء والتذكير بالموت وانه من منازل الآخرة والزجر عن ايثار منافع الحياة العاجلة على ما أُعد لأهل الخير من نعيم الاخرة.

ويقول ابن عاشور جاء في كتاب ابن عطية عن عمر بن الخطاب ولم يسنده انه من سال عن القيامة واراد ان يعرف حقيقة وقوعها فليقرأ سورة القيامة.

تفسير السورة كلمة كلمة

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾

يقول الشيخ السعدي: لا هنا ليست نافية ولا زائدة وانما أُتي بها للاستفتاح والاهتمام بما بعدها ولكثرة الاتيان بها مع اليمين فلا يستغرب للإتيان بها. فالمقسم عليه هو البعث بعد الموت وانه سيبعث الانسان بعد الموت.

يقول ابن كثير: قد تقدم ان المقسم عليه إذا كان منتفياً جاز الاتيان بلا قبل القسم لتأكيد النفي والمقسوم عليه هاهنا اثبات الميعاد والرد على ما يزعمه العباد من عدم بعث الأجساد وتكذيبهم بالبعث. ونقل الخلاف في النفس اللوامة قال الحسن انه اقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة. وقال قتادة بل اقسم بهما جميعاً. ثم رجحه والصحيح انه اقسم بهما جميعاً. كما قال ابن عباس وابن جرير واختاره الطبري.

يقول ابن جزي: لا أقسم معناها أقسم ولا زائده لتأكيد القسم وقيل هي استفتاح كلام بمنزلة الا وقيل هي نفي لكلام الكفار.

﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾

ثم بين ما هي النفس اللوامة فقال: عن الحسن البصري قال: ان المؤمن الا نراه يلوم نفسه ماذا اردت بكلمتي ما اردت بأكلتي وان الفاجر يمضي قدماً لا يعاتب نفسه.

يقول الشيخ السعدي: وهي جميع النفوس الخيرة والفاجرة وسميت لوامة لكثرة ترددها وعدم ثبوتها على حاله من احوالها. والنفس أنواع فالنفس المطمئنة راضية بقضاء الله ومرضية اطمئنت لشرعه وقضائه تدعو صاحبها للخير والنفس الامارة بالسوء التي تامر صاحبها بالسوء، اما النفس اللوامة اما انها ترقى للنفس المطمئنة التي تلوم صاحبها عند التقصير أو التفريط في الطاعة. أو ترقى للنفس الامارة بالسوء إذا لامت صاحبها على عمل الخير ولا تلومه على عمل المعصية. فالنفس اللوامة ستلوم صاحبها عند الموت على التقصير او على التفريط ولم يجتهد في الخير.

ذكر الامام الطبري للنفس اللوامة عدة معاني وقال اختلف أهل التأويل فقال بعض تلوم على الخير والشر وقيل تلوم على ما فاتها وتندم وقيل اللوامة الفاجرة وقال اخرون بل هي المذمومة. ورجح انها تلوم صاحبها على ما فاتها وتندم على ما فات

يقول ابن عاشور ان اللوامة المراد اللوامة في الدنيا تلوم صاحبها لوم ينشأ عنه التوبة والتقوى وليس المراد لوم الاخرة. وان مناسبة القسم بها مع يوم القيامة انها النفوس ذات الفوز في هذا اليوم. يقول ابن جزي هي التي تلوم نفسها على فعل الذنوب او التقصير في الطاعات والنفوس على ثلاثة أنواعها خيرها المطمئنة وشرها الإمارة بالسوء وبينهما النفس اللوامة. وقيل اللوامة هي الفاجرة وهذا بعيد لان الله لا يقسم الا بما يُعظم من المخلوقات ويستقيم ان كان لا أقسم نفياً للقسم.

قال ابن القيم: في التعريف بالنفس اللوامة نبه سبحانه بكونها لوامة على شدة حاجتها وفاقتها وضرورتها الى من يعرفها الخير والشر ويدلها عليه ويرشدها اليه ويلهمها اليه فيجعلها مريدة للخير مرشدة له كارهة للشر مجانبة له لتخلص من اللوم ومن شر ما

تلوم عليه ولأنها متلومه مترددة لا تثبت على حال واحده فهي محتاجة الى من يعرفها ما هو انفع لها في معاشها ومعادها فتؤثره وتلوم نفسها عليه إذا فاتها.

وذكر ابن عاشور ان بعض المفسرين قال اعتبر عدم القسم بالنفس اللوامة لان الله لا يقسم الا بعظيم هو طيب ففسر النفس اللوامة التي تلوم على فعل الخير. وذكر ان مناسبة القسم بها مع يوم القيامة انها النفوس ذات الفوز في ذلك اليوم لأنها لامت صاحبها على التفريط فأدت به للاجتهاد في الطاعة والفوز.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ﴾

هنا جواب القسم أيحسب فاستبعد من عدوانه وجهله قدرة الله على رد البدن واستبعد قدرة الله فرد عليه بلى قادرين على تسوية أطراف الأصابع والعظام والبنان فالبداية أصعب من الإعادة فالله قادر على جمع العظام وعلى تسوية بقية الجسد فاذا وجدت الانامل والبنان فقد تمت خلقة الجسد. فالله خلق الانسان من عدم فكونه قادر على اعادته أسهل.

يقول في قوله ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ ايظن الانسان انا لا نجمع عظامه بل سنجمعها وقادرين على ان نسوي بنانه فقدرتنا صالحة بل ولو شئنا لبعثناه ازيد مما كان فنجعل بنانه مستويه. وقال ابن عباس يفجر امامه يعني يقول اعمل ثم اتوب قبل يوم القيامة ويقال هو الكفر بالحق بين يديه يوم القيامة. وقال قتاده ومجاهد: يمضي امامه راكباً رأسه. وقال الحسن لا يلقي ابن آدم الا تنزع نفسه الى المعصية قدما قدما الا من عصمه الله. وقال غير واحد من السلف هو الذي يعجل الذنوب ويسوف التوبة. وقيل هو الكافر يكفر بيوم القيامة وهذا هو الاظهر من المراد.

﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَه﴾

وجي بحرف لن الدال على تأكيد النفي وهذا دليل على شدة تكذيبهم وعدم ايمانهم بجمع الله لعظامهم بعد تشتتها. ويقول ان العظام كناية عن الجسد كله فأثبات إعادة العظام اقتضى إعادة الجسد كله من باب أولى لان إعادة العظام أصعب وفي ذلك كفاية من الاستدلال مع الايجاز فاذا أعاد العظام فهو قادر على إعادة اللحم والعصب وغيره. وقال إذا كان البنان هي أصغر الأعضاء الواقعة في نهاية الجسم كان تسويتها كناية عن تسوية جميع البدن.

﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَه﴾

بل يريد بسبب بعده عن الله وفجوره واعراضه عن الله لا يصدق فيسأل ايان مكذباً بالبعث بعد الموت. يقول الشيخ السعدي وليس انكاره لقدرة الله تعالى قصوراً بالدليل الدال على ذلك انما وقع منه قصده وارادته ان يكذب، لذا قال السعدي والفجور هو الكذب مع التعمد. يقول ابن عاشور يريد الانسان يجوز اخبارا عما في نفوس اهل الشرك من محبة الاسترسال فيما هم فيه من الفسق والفجور فهم يعلمون انهم على باطل ويحبون الاسترسال فيه. ويجوز ان يكون استفهام انكاري موافق لسياق ما قبله. ويقول كرر لفظ الانسان في هذه السورة خمس مرات لذلك اظهارا في مقام الاضمار لان المقام تقريع وتعجب من ضلاله.

وامامه في الأصل اسم مكان أي قبالة ما أُضيف اليه وضد خلف ويعبر به مجازاً عن المستقبل وقال ابن عباس يكذب بيوم الحساب ويجوز ان الضمير يعود للإنسان يكذب في مستقبله فيستمر ويمضي قدماً راكبا راسه عما هو فيه من الفجور وينكر

البعث فيفجر في مستقبله ويستمر في الذنوب والمعاصي. وذكر ان امامه يطلق مجازاً لليوم المستقبل والى هذا نحى ابن عباس وفي رواية عنه وعن عبد الرحمن ابن زيد. فيكون يفجر يعني يكذب باليوم المستقبل.

قال ابن عاشور: هنا الاضراب انتقالي الله انتقل من للحديث عن كثرة فجور الانسان فذكر حال اخر من فجوره وقال ان الفجور فعل السوء الشديد ويطلق على الكذب وذكر الشيخ السعدي انه الكذب المتعمد.

يقول ابن عاشور: الوزر الذي يلجأ اليه للتقوي من إصابة مكروه مثل الجبال والحصون ويجوز انه جواب من الله لمقال اين المفر فلا وزر لك أي لا يوجد مفر لك فيحسن الوقف على اين المفر. ويجوز انه من مقال تمامة الانسان فيجيب نفسه لا مفر من العذاب فيجيب نفسه لا وزر لي ولم يجد الا النار وهنا يحسن الوصل.

يقول ابن عاشور في قوله ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ كلام من جانب الله يخاطب به النبي في الدنيا بقرينة يومئذ فهو اعتراض وادماج للتذكير بملك ذلك اليوم. ويقول في قوله ولو ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ ان الكافر يعلم اعماله التي استحق العقاب عليها ويحاول ان يعتذر وهو يعلم ان لا عذر له ولو أفصح عن جميع معاذيره وقال ان من هذه المعاذير رب ارجعون لعلي اعمل صالحاً فيما تركت وكذلك قولهم وما جاءنا من بشير.

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾

ذكر أحوال يوم القيامة فاذا كانت القيامة برقت الابصار وشخصت فلا تطرف بسبب الهول. انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين...

﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾

وخسف ذهب نوره وسلطانه وجمع الشمس والقمر فهما لا يجتمعان الا يوم القيامة وتكور الشمس ثم يقذفان في النار ليرى العباد انهما عبدان مسخران ويرى من عبدهما انهم كانوا كاذبين.

يقول القرطبي: خسف أي ذهب نوره والخسوف في الدنيا انجلاء بخلاف الاخرة فانه لا يعود ضوءه ويحتمل ان يكون بمعنى غاب ومنه قوله تعالى فخسفنا به وبداره الأرض

يقول الانسان حين يرى هذه القلاقل والمزعجات ﴿يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ اين الخلاص والفكاك مما اصابنا. ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ كلا لا ملجأ لاحد دون الله فهو وحده القادر على ازالتها والقادر على تهوين يوم القيامة على عباده لساير العباد فليس لاحد ان يستتر من ذلك الموقف بل لا بد من إيقافه ليجزي بعمله. ولذلك قال

﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ بجميع عمله السيئ من اوله واخره وينبأ بخبر لا ينكره. ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ أي شاهداً ومحاسبا ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ فإنها معاذير لا تقبل ولا تقابل بما يقرر به العبد كفى بنفسك فحتى وان أنكر فلن يفيده انكاره. لأنه يشهد عليه جميع جوارحه ولان استعتابه قد ذهب وقته وزال نفعه فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا.

﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾

قال ابن كثير: أي يخبر بجميع اعماله قديمها وحديثها أولها واخرها صغيرها وكبيرها كما قال تعالى ووجدوا ما عملوا حاضرا. وقال في قوله بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ أي هو شهيد على نفسه عالما بما فعله ولو اعتذر وأنكر. كما قال تعالى اقرا كتابك. كما نقل قول ابن عباس ان سمعه وبصره ويداه ورجلاه وجوارحه كل ذلك يشهد عليه. ونقل رأي مجاهد لو جادل عنها فهو بصير عليها ورجح ابن كثير هذا وقال السدي والقى حجته. كما نقل عن زاره عن قتادة عن ابن عباس القى ثيابه والصحيح انه رجح قول مجاهد واصحابه لو جادل عنها فهو بصير عليها أي نفسه ويعرف ماذا عمل. واستدل في ترجيح هذا القول بقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين. وقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون ... ونقل عن ابن عباس أي الاعتذار.

يقول الطبري في قوله ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ اختلف اهل الرواية في معنى ذلك قال: للإنسان على نفسه شهود من نفسه ولو اعتذر بالقول ممن قد اتى من المأثم وركب من المعاصي وجادل بالباطل. وقيل بل الانسان على نفسه من نفسه بصيره لو تجرد وقيل ولو ارخى الستور واغلق الأبواب وقال اخرون لو القى معاذيره لم تقبل منه هذه المعاذير ثم رجح وقال أولى الاقوال عندنا بالصواب من رجح قول ولو اعتذر لان ذلك اشبه المعانيي بظاهر التنزيل.

ذكر ابن جزي قولين ان الانسان يشهد على اعماله ولو اعتذر عن قبائحه والأخر ان المعاذير الستور.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾

انتقل للحديث عن الوحي فقد كان النبي يبادر جبريل ويتلو معه قبل ان يفرغ لذا قيل له ولا تعجل بالقران يريدان يعرف كل شيء فقال تعالى له لا تحرك لا تتعجل فالله قادر على ان يثبته في قلبك بل ضمن له تعالى انه لابد له سيحفظه ويجمعه له في صدره فقال انا علينا فالله سيثبته في صدرك فالحرص الذي في خاطرك انما الداعي له حذر الفوات والنسيان فاذا ضمن الله لك حفظه وتثبيته في قلبك فلا تتعجل.

ورجح الطبري اختلفوا فقالوا قيل له لا تعجل به فانا سنحفظه عليك وقيل انه كان يكثر تلاوته القرآن مخافة نسيانه ورجح القول الأول.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ أي إذا كمل جبريل ما أُحي إليك فاتبع ما قرأه واقرأه فالله سيثبته في صدرك. قال الطبري: إذا تلي عليك فاعمل بالامر والنهي واتبع ما امرته به فيه.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ أي بيان معانيه فوعده بحفظ لفظه وحفظ معانيه وهذا اعلى ما يكون فامتثل النبي لأدب ربه ولم يتعجل. قال الشيخ السعدي من أدب العلم ان لا يبادر المتعلم المعلم قبل ان يفرغ من المسألة التي شرع فيها فاذا فرغ منها سأل عما أُشكل عليه. كذلك إذا كان في الكلام ما يوجب الاستحسان وفلا يبادر حتى يفرغ من الكلام ليتبين ما فيه من حق أو باطل وليفهمه فهماً جيداًحتى يتمكن من الرد عليه. وفيها ان النبي كما بين الفاظ الوحي قد بين معانيه.

﴿يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ نقل القرطبي: يحتمل وجهين اين المفر من الله استحياءاً منه والثاني اين المفر من جهنم حذراً منها.

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ لا مفر فكلا هنا ردع وهي تعني لا ملجأ من النار ولا مفر منها وقال ابن مسعود لا حصن وقال ابن عباس لا ملجأ وقال ابن جبير لا محيص ولا منعه من النار. وقال السدي كانوا في الدنيا إذا فزعوا تحصنوا في الجبال فقال الله لهم لا وزر يعني لن يعصمكم يومئذ مني.

قال القرطبي في قوله ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ المنتهى قاله قتاده ونظيره قوله وان الى ربك المنتهى وقال ابن مسعود الى ربك المصير والمرجع وقيل المستقر في الأخيرة حيث الله عز وجل هو الحاكم بينهم. وقيل ان كلا من قول الانسان لنفسه إذا علم انه ليس له مفر. وقوله ينبأ أي يخبر ابن آدم كان برا او فاجرا بما قدم واخر أي بما أسلف من عمل سيئ او صالح. وقول مجاهد ينبأ بأول عمله واخره بما قدم من معصيه واخر من طاعه. وقال الضحاك ينبأ بما قدم من فرض وبما اخر من فرض. وقال القشيري وهذا يكون في القيامة عند وزن الاعمال وقيل عند الموت. كما ذكر القرطبي: جاء تأنيث البصيرة ان المراد بالإنسان هاهنا الجوارح لأنها شاهده على نفس الانسان فكأنه قال بل الجوارح على نفس الانسان بصيرة. ورجح الادلاء بالحجة والاعتذار من الذنب.

يقول الشوكاني: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ استفهام واضرب عن التوبيخ بذلك الى التوبيخ بهذا هو يعني أنكر البعث ويريد أيضا ان يفجر ويكذب فانتقل من التوبيخ الى توبيخ. او انه ايجاب انتقل اليه من الاستفهام والمعنى بل يريد الانسان ان يقدم

فجوره فيما بين يديه من الموبقات وما يستقبله من الزمان فيقدم الذنب ويؤخر التوبة. وقال ابن الانباري يريد ان يفجر ما امتد عمره وليس في يده ان يرجع عن ذنب يرتكبه. ونقلا ايضاً اقوال المفسرين مجاهد والحسن وعكرمة يقول سوف اتوب ولا يتوب حتى يأتيه الموت وهو شر احواله. وقال الضحاك هو الامل سوف أعيش وأصيب من الدنيا ولا يذكر الموت. والفجور أصله الميل عن الحق فيصدق على كل من مال عن الحق بقول او فعل.

يقول ابن القيم في قوله تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ تضمنت التأني والتثبت في تلقي العلم والا يحمل السامع شدة محبته وطلبه عن مبادرة المعلم بالآخذ قبل فراغه من كلامه.

يقول الشوكاني في قوله تعالى ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ فيه إشارة الى انه نزل مفرقاً واشارة الى ان جمعه على هذا النحو الموجود برعاية وعناية من الله وتحقيقاً ويشهد ان هذا الجمع الموجود من وسائل حفظه كما مهد بقوله انا نزلنا الذكر وانا ... .

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾

العاجلة هي الدنيا يقول الشيخ السعدي: أي هذا الذي اوجب لكم الغفلة والاعراض عن وعظ الله وتذكيره اياكم انكم تحبون العاجلة وتسعون في لذاتها وشهواتها وتؤثرونها على الاخرة فتذرون العمل لها لان الدنيا ولذاتها عاجلة والاخرة نعيمها متأخر لذلك غفلتم عنها وتركتموها كأنكم لم تخلقوا لها وكأن هذه الدار هي دار القرار التي نبذل فيها نفائس الاعمار نسعى لها اناء الليل والنهار وبهذا انقلبت عليكم الحقيقة وحصل من الخسار ولو آثرتم العاجلة على الدنيا ونظرتم للعواقب نظر البصير العاقل لنجحتم و

ربحتم ربحاً لا خسارة معه وفوزتم فوزاً لا شقاء يصحبه. والعصر ان الانسان لفي خسر سيخرج من الخسر فقط الذين ءامنوا تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر. فالعقول السليمة ستؤثر الباقي على الفاني فكيف إذا كان الباقي اضعاف الدنيا. وان الدار الاخرة لهي الحَيْوان لو كانوا يعلمون. فالحياة في الدنيا يشوبها التنقيص وليست صافية لاحد. فحين يعاين المرء اهوال القيامة يقول يا ليتني قدمت لحياتي. فيتمنى الكافر لو آمن ولم يشرك بالله ويتمنى المؤمن لو ازداد من الطاعات. وانذرهم يوم الحسرة.

ولو تدبرنا بعض الآيات التي وردت في الدنيا ندرك انها لا تسوي شيئاً مثلا في سورة هود من كان يريد الدنيا نوفي...وهم لا يُبخسون فمن يريد الدنيا سيعطيها الله له ولكن ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون. وهناك من يريدها ولا تعطى له فيخسر الدنيا والاخرة. ولكن هل تُعطى لكل من يريدها؟ الإجابة في قوله تعالى ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً. اما من أراد ان يستزيد من العمل للأخرة سيعطيه الله الاجر الكثير من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يرد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب. كان من أكثر دعاء النبي اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا إلى النار مصيرنا. ومن جوامع الادعية ربنا ءاتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار.

يقول الامام الطبري: يقول تعالى لعباده المخاطبين بهذا القرآن المؤثرين لزينة الحياة الدنيا على الاخرة ليس الامر كما تقول أيها الناس من انكم لا تبعثون بعد الموت ولا تجازون بأعمالكم لكن الذي دعاكم الى قول ذلك محبتكم الدنيا العاجلة وايثاركم شهواتها على آجل الاخرة ونعيمها فأنتم تؤمنون بالعاجلة وتكذبون بالآجلة.

يقول الشيخ السعدي: ثم ذكر ما يدعو إلى ايثار الاخرة ببيان حال أهلها وتفاوتهم فيها فقال في جزاء المؤمنين المؤثرين للأخرة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ حسنة بهية لها رونق ونور مما هم فيه من نعيم القلوب وبهجة النفوس ولذة الأرواح تنظر إلى ربها على حسب مراتبهم منهم من ينظر كل يوم بكرة وعشية ومنهم من ينظر كل جمعة مره واحدة حسب العمل الصالح وهو افضل نعيم على الاطلاق لان النعيم المعنوي افضل بكثير من الحسي والأفضل من هذا رضوان الله عز وجل فلا يسخط عليهم بعده ابداً ورضوان من الله أكبر. فاذا رأهُ نسوا ما هم فيه من نعيم وحصل لهم من اللذة والسرور مالا يمكن التعبير عنه ونضرت وجوههم وازدادت جمالاً على الجمال الذي هي عليه.

يقول ابن كثير من النضارة انها بهية ترى الله عياناً ورجح ان المؤمنون يرون الله في يوم القيامة لما ثبت في الأحاديث الصحاح انكم سترون ربكم عياناً. وحديث انكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر وغيرها من الحديث. قال الشافعي ما حجب الفجار الا قد ان الابرار يرونه عز وجل. اما الكفار فمحجبون وهي عقوبة لهم.

ورد في تفسير القرطبي: ان النظر هنا انتظار ما عند الله لهم من الثواب والعقاب وقال ابن عمر ومجاهد تنتظر امر ربها حكاه الماوردي عن ابن عمر وعكرمة وليس معروفاً الا عن مجاهد وحده، واحتجوا بقوله لا تدركه الابصار وهو يدركها وهذا القول ضعيف جداً فظاهر الآية الى ربها ناظرة والمؤمنون يتمتعون برؤيته حسب أعمالهم.

قال القرطبي عن الاستدلال الذي استدلوا به لا تدركه الابصار انما ذلك في الدنيا وان الأبصار ر لا تستطيع ان تدرك عظمة الله عز وجل أي لا تحيط ابصارهم به من عظمته ونظره يحيط بهم.

قال ابن عاشور: الآية تدل على رؤية المؤمنين لربهم من وجوه ثلاثة:

- عد النظر بإلي دليل على الغاية فدل على المعاينة والابصار.
- ان النظر لله جاء في الأحاديث.
- خلا الدليل من قرينة تصرف اللفظ عن ظاهره فوجب حمله على حقيقته وموضوعة ولا حجة للمتأولين مسلمة.

ومن الآيات الدالة على هذا المعنى تعرف في وجوههم نضرة النعيم والحسنى وزيادة وهي التمتع بالنظر لوجهه عز وجل. وفسرت أيضا ولدينا مزيد المزيد رؤية الله في الجنة.

وقال في الذين المؤثرين العاجلة على الاخرة ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ معبسة مكدرة لما رأت من الاهوال خاشعة ذليلة ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ والفاقرة العقوبة شديدة وعذاب اليم لذا تغيرت ووجوههم وعبست تتوقع العذاب الاليم.

ذكر ابن كثير هذه وجووه الفجار يوم القيامة كالحة عابسة يتغير الوانها وذكر تظن أي تستيقن. وذكر ان هذه مثل مقام يوم تبيض وجوه وتسود وجوه. ووجوه ضاحكة مستبشرة ووجوه ناعمة لسعيها راضية.

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾

يعظ الله عباده بذكر حال المحتضر عند السياق إذا بلغت روحه العظام المكتنفة لثغرة النحر أي اعلى عظام الصدر على جهة اليمين وجهة اليسار وهي موضع الحشرجة فحينئذ يشتد الكرب ويطلب كل وسيلة وسبب يظن ان يحصل بها الشفاء والراحة ولهذا قال مَنْ رَاقٍ من يرقيه ليخرجه منها فقد انقطعت امالهم من الأسباب العادية فلم يبقى

الا الأسباب الإلهية ولكن إذا حتم القضاء والقدر فلا مرد له. وذكر الشوكاني تنتزع نفسه حتى إذا كانت في تراقيه من يرقى بروحه ملائكة الرحمة ام ملائكة العذاب.

يقول ابن كثير ان كلا قد تكون للردع او بمعنى حقاً. فان جعلنها كلا فمعناها يا ابن آدم لا تستطيع ان تكذب باليوم الاخر فقد صار ذلك عندك عياناً. وان جعلناها بمعنى حقاً أي حقا إذا بلغت التراقي وانتزعت الروح من جسدك. وقال ان التراقي جمع ترقوه وهي قريبه من الحلقوم.

وقال ابن عاشور: في قوله تعالى كلا رادع ثاني على قول الانسان ايان يوم القيامة مؤكد للردع الذي قبله كلا بل تحبون العاجلة عناه زجر عن إحالة البعث فانه واقع غير بعيد كل أحد يشاهده حين الاحتضار. وهو ردع عن ايثار الدنيا عن الاخرة كأنه قيل ارتدعوا وتنبهوا على ما بين ايديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة وتنتقلون للأخرة. فهو ردع على ما تضمنه ذلك الردع من ايثار العاجلة على الاخرة. أي ردع ثاني على الأول. وقال في ظن العلم المقارب لليقين والضمير في انه أي والامر العظيم أي فراق الحياة.

ذكر القرطبي: هي من الرقية أي هل من طبيب يشفيه. وان ملك الموت يقول للملائكة من يرقى بهذه النفس أي يصعد بها لان الملائكة تكره قربها لكفرها.

يقول الطبري في قوله تعالى ﴿ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٖ ﴾ يقول لأهله من ذا يرقيني يشفيني مما قد نزل به وطلب الأطباء والمداوين فلم يُغنوا عنه من أمر الله الذي نزل به شيء وأيقن انه الفراق فراق الدنيا والمال والاهل والولد. وذكر عدة اراء في قوله وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ فقال بعضهم والتف شدة امر الدنيا بشدة امر الاخرة وقال اخرون التف ساقا الميت إذا لفتا في الكفن وقيل لالتفاف ساقي الميت عند الموت. وقال اخرون عُني بذلك يبسهما عند

الميت. وقيل التف أمر بأمر كما قيل التف بلاء ببلاء. وقال الطبري ان أولى الاقوال عنده التفت ساق الدنيا بساق الاخرة وذلك يكون لشدة هول المطلع والذي يدل على ان ذلك قوله ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ أي المرجع والماب ذلك ان الروح ترفع الى السماوات فيقول الله ردوا عبدي الى الأرض فاني منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة اخرى. والعرب تقول لكل امر اشتد شمر عن ساقه وكشف عنها. يقول الى ربك يا محمد يوم التفاف الساق بالساق مساقه الى الله وسيحاسبهم يوم يجعل الولدان شيباً من هول الموقف. قال ابن جزي المساق جواب إذا بلغت التراقي وهو مصدر من السوق وقيل هو اسم مصدر أي المرجع والمصير الى ربه.

ابن كثير التف عليه وقال[آدم1]الدنيا والاخرة وهكذا قال ابي طلحة وابن عباس تلتقي أيام الدنيا بالأخرة وقيل الامر العظيم بالأمر العظيم وقال مجاهد بلاء ببلاء وقال الحسن هما الساقان اذا التفتا وفي رواية ماتت رجلاه فلا تحملاه وقد كان عليهما جوالاً وعن الحسن هو لفهما في الكفن وعن الضحاك اجتمع عليه امران ناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه.

ظن ان مفارق الدنيا ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ أي اجتمعت الشدائد والتفت وعظُم الامر وصعب الكرب وأريد ان تخرج الروح التي الفت البدن فتساق إلى الله ليجازيها بأعمالها ويقررها بفعالها فلهذا الزجر زجره الله يسوق القلوب الى ما فيه نجاتها ويزجرها عما فيه هلاكها فالمؤمن سينتفع بالموعظة ولكن المعاند لن ينتفع بالآيات ولا يزال في كفره وعناده.

قال ابن عاشور: ان حمل على ظاهره فالمعنى التفاف ساقي المحتضر بعد موته تلف في الاكفان فالتعريف عوض عن المضاف اليه وهو نهاية وصف الحالة التي تهيأ بها لمصيره الى القبر الذي هو اول مراحل الاخرة. ويجوز ان يكون ذلك تمثيلاً فان العرب تستخدم الساق في الشده وشدة الامر أي طرأت مصيبة على مصيبة. والتعريف في المساق يعم الكل أي مساق الانسان ومرجعه الذي يرجع اليه الى ربه فإلى الله المرجع والماب. كجواب لمن سال متى القيامة. ويجوز ان تكون تفريعاً وعطفاً على قوله الى ربك يومئذ المساق فقد فارق الحياة وسيق الى لقاء الله خالياً من العدة. وسيندم ويخسر على ما اضاعه من الاستعداد لذلك اليوم.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾ فلا صدق بالله وكتبه ورسله ولا آمن ولا صلى ولكن كذب بالحق وقيل يحتمل المقصود لم يصدق بالله ورسوله او بمعنى الصدقة واعرض وتولى عن الامر والنهي وهو مطمئن قلبه غير خائف من ربه يذهب الى أهله ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ ليس على باله شيء فتوعده الله بقوله ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ ﴿ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ هذه كلمات وعيد كررها الله لتكرير وعيده أي ستعرف ماذا سيحدث لك ثم ذكر الانسان بخلقه الأول ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ فانت أيها الانسان كنت لا شيء اتحسب ان تترك معطلا لا تسال ولا تؤمر ولا تحاسب ولا تعاقب هذا حسبان باطل وظن بالله بغير ما يليق بحكمته. ايظن الانسان الكافر بالله ان يترك هملا لا يؤمر ولا يتعبد بعباده.

يقول ابن عاشور الاستفهام هنا استنكاري فالله ينكر عليه انه يعتقد انه سيترك سدى دون مجازاة او محاسبة وقال جاء ذكر سدى هنا على طريقة الادماج ايماء ان حكمة خلق الانسان ان لا يتركه خالقه بعد موته فلا يحييه لمحاسبته على حياته الأولى.

يقول ابن عاشور في قوله تعالى ﴿وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ التكذيب تكذيبه بالبعث وبالقرآن وبرسالة النبي والتولي الاعراض عن دعوته ويتمطى يدل على التبختر وانه أهمل الأخرة ولا يعبأ بدعوة الرسول وذهب لأهله مزدهياً بنفسه غير مفكر في مصيره. ويقول قال ابن عطية نزلت في أبي جهل.

يقول الطبري: ثم ذهب الى اهله يتبختر في مشيته وقيل ان هذه الآية نزلت في ابي جهل.

وقوله أولى لك وعيد على وعيد من الله عز وجل لابي جهل.

ذكر القرطبي: في أولى لك فأولى تهديد بعد تهديد ووعيد بعد وعيد أي وعيد أربعة لأربعة فترك التصديق خصلة والتكذيب خصلة وترك الصلاة خصلة والتولي عن الله خصلة فجاء الوعيد مقابل لترك الخصال الأربعة والله اعلم. فان قالوا هي خمسة ثم ذهب الى اهله يتمطى فنقول تلك كانت عادتهم قبل التكذيب والتولي فأخبر عنها وذلك بين في قول قتاده على ما نذكره.

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى﴾ مني خرج من الرجل واستقر في رحم المرأة ولم تكن شيئاً

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾ كانت دما فخلق الله منها الانسان فسواه واتقنه

واحكمه ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ بقدرته وجعل منه الذكر والانثى

﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ بلى يا رب قادر على ان تحيي الموتى لان السؤال أليسَ الإجابة تكون بلى وليس بنعم. ورد حديث عن الامام أحمد عن النبي انه كان بعد قراءة سورة القيامة يقول سبحانك فبلى في فرض ونفل. وقال الشيخ ابن عثيمين يصح ان يقال بلى أو سبحانك فبلى. يقول ابن كثير ان ابن عباس مر على هذه الآية قال سبحانك فبلى. وهي من السنن المهجورة. يقول ابن عاشور هنا الاستفهام تقريري يقع على نفي ما يراد اثباته. ويقول قد جاء في هذا الختام بمحسن رد العجز على الصدر فالسورة افتتحت بإنكارهم البعث واختتمت تقريرهم بأن الله قادر على احياء الموتى

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾

العاجلة هي الدنيا يقول الشيخ السعدي: أي هذا الذي اوجب لكم الغفلة والاعراض عن وعظ الله وتذكيره اياكم انكم تحبون العاجلة وتسعون في لذاتها وشهواتها وتؤثرونها على الاخرة فتذرون العمل لها لان الدنيا ولذاتها عاجلة والاخرة نعيمها متأخر لذلك غفلتم عنها وتركتموها كأنكم لم تخلقوا لها وكأن هذه الدار هي دار القرار التي نبذل فيها نفائس الاعمار نسعى لها اناء الليل والنهار وبهذا انقلبت عليكم الحقيقة وحصل من الخسار ولو آثرتم العاجلة على الدنيا ونظرتم للعواقب نظر البصير العاقل لنجحتم و ربحتم ربحاً لا خسارة معه وفوزتم فوزاً لا شقاء يصحبه. والعصر ان الانسان لفي خسر سيخرج من الخسر فقط الذين ءامنوا تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر. فالعقول السليمة ستؤثر الباقي على الفاني فكيف إذا كان الباقي اضعاف الدنيا. وان الدار الاخرة لهي الحَيْوان لو كانوا يعلمون. فالحياة في الدنيا يشوبها التنقيص وليست صافية لاحد.

فحين يعاين المرء اهوال القيامة يقول يا ليتني قدمت لحياتي. فيتمنى الكافر لو آمن ولم يشرك بالله ويتمنى المؤمن لو ازداد من الطاعات. وانذرهم يوم الحسرة.

ولو تدبرنا بعض الآيات التي وردت في الدنيا ندرك انها لا تسوي شيئاً مثلا في سورة هود من كان يريد الدنيا نوفي...وهم لا يُبخسون فمن يريد الدنيا سيعطيها الله له ولكن ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون. وهناك من يريدها ولا تعطى له فيخسر الدنيا والاخرة. ولكن هل تُعطى لكل من يريدها؟ الإجابة في قوله تعالى ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً. اما من أراد ان يستزيد من العمل للأخرة سيعطيه الله الاجر الكثير من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يرد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب. كان من أكثر دعاء النبي اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا إلى النار مصيرنا. ومن جوامع الادعية ربنا ءاتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار.

يقول الامام الطبري: يقول تعالى لعباده المخاطبين بهذا القرآن المؤثرين لزينة الحياة الدنيا على الاخرة ليس الامر كما تقول أيها الناس من انكم لا تبعثون بعد الموت ولا تجازون بأعمالكم لكن الذي دعاكم الى قول ذلك محبتكم الدنيا العاجلة وايثاركم شهواتها على آجل الاخرة ونعيمها فأنتم تؤمنون بالعاجلة وتكذبون بالآجلة.

يقول الشيخ السعدي: ثم ذكر ما يدعو إلى ايثار الاخرة ببيان حال أهلها وتفاوتهم فيها فقال في جزاء المؤمنين المؤثرين للأخرة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ حسنة بهية لها رونق ونور مما هم فيه من نعيم القلوب وبهجة النفوس ولذة الأرواح تنظر إلى ربها على حسب مراتبهم منهم من ينظر كل يوم بكرة وعشية ومنهم من ينظر كل جمعة مره واحدة حسب العمل الصالح وهو افضل نعيم على الاطلاق لان النعيم المعنوي افضل

بكثير من الحسي والأفضل من هذا رضوان الله عز وجل فلا يسخط عليهم بعده ابداً ورضوان من الله أكبر. فاذا رأهُ نسوا ما هم فيه من نعيم وحصل لهم من اللذة والسرور مالا يمكن التعبير عنه ونضرت وجوههم وازدادت جمالاً على الجمال الذي هي عليه.

يقول ابن كثير من النضارة انها بهية ترى الله عياناً ورجح ان المؤمنون يرون الله في يوم القيامة لما ثبت في الأحاديث الصحاح انكم سترون ربكم عياناً. وحديث انكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر وغيرها من الحديث. قال الشافعي ما حجب الفجار الا قد ان الابرار يرونه عز وجل. اما الكفار فمحجبون وهي عقوبة لهم.

ورد في تفسير القرطبي: ان النظر هنا انتظار ما عند الله لهم من الثواب والعقاب وقال ابن عمر ومجاهد تنتظر امر ربها حكاه الماوردي عن ابن عمر وعكرمة وليس معروفاً الا عن مجاهد وحده، واحتجوا بقوله لا تدركه الابصار وهو يدركها وهذا القول ضعيف جداً فظاهر الآية الى ربها ناظرة والمؤمنون يتمتعون برؤيته حسب أعمالهم.

قال القرطبي عن الاستدلال الذي استدلوا به لا تدركه الابصار انما ذلك في الدنيا وان الأبصار ر لا تستطيع ان تدرك عظمة الله عز وجل أي لا تحيط ابصارهم به من عظمته ونظره يحيط بهم.

قال ابن عاشور: الآية تدل على رؤية المؤمنين لربهم من وجوه ثلاثة:

- عد النظر بإلي دليل على الغاية فدل على المعاينة والابصار.
- ان النظر لله جاء في الأحاديث.
- خلا الدليل من قرينة تصرف اللفظ عن ظاهره فوجب حمله على حقيقته وموضوعة ولا حجة للمتأولين مسلمة.

ومن الآيات الدالة على هذا المعنى تعرف في وجوههم نضرة النعيم والحسنى وزيادة وهي التمتع بالنظر لوجهه عز وجل. وفسرت أيضا ولدينا مزيد المزيد رؤية الله في الجنة.

وقال في الذين المؤثرين العاجلة على الاخرة ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ معبسة مكدرة لما رأت من الاهوال خاشعة ذليلة ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ والفاقرة العقوبة شديدة وعذاب اليم لذا تغيرت ووجوههم وعبست تتوقع العذاب الاليم.

ذكر ابن كثير هذه وجووه الفجار يوم القيامة كالحة عابسة يتغير الوانها وذكر تظن أي تستيقن. وذكر ان هذه مثل مقام يوم تبيض وجوه وتسود وجوه. ووجوه ضاحكة مستبشرة ووجوه ناعمة لسعيها راضية.

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾

يعظ الله عباده بذكر حال المحتضر عند السياق إذا بلغت روحه العظام المكتنفة لثغرة النحر أي اعلى عظام الصدر على جهة اليمين وجهة اليسار وهي موضع الحشرجة فحينئذ يشتد الكرب ويطلب كل وسيلة وسبب يظن ان يحصل بها الشفاء والراحة ولهذا قال مَنْ رَاقٍ من يرقيه ليخرجه منها فقد انقطعت امالهم من الأسباب العادية فلم يبقى الا الأسباب الإلهية ولكن إذا حتم القضاء والقدر فلا مرد له. وذكر الشوكاني تنتزع نفسه حتى إذا كانت في تراقيه من يرقى بروحه ملائكة الرحمة ام ملائكة العذاب.

يقول ابن كثير ان كلا قد تكون للردع او بمعنى حقاً. فان جعلنها كلا فمعناها يا ابن آدم لا تستطيع ان تكذب باليوم الاخر فقد صار ذلك عندك عياناً. وان جعلناها بمعنى حقاً

أي حقا إذا بلغت التراقي وانتزعت الروح من جسدك. وقال ان التراقي جمع ترقوه وهي قريبه من الحلقوم.

وقال ابن عاشور: في قوله تعالى كلا رادع ثاني على قول الانسان ايان يوم القيامة مؤكد للردع الذي قبله كلا بل تحبون العاجلة عناه زجر عن إحالة البعث فانه واقع غير بعيد كل أحد يشاهده حين الاحتضار. وهو ردع عن ايثار الدنيا عن الاخرة كأنه قيل ارتدعوا وتنبهوا على ما بين ايديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة وتنتقلون للأخرة. فهو ردع على ما تضمنه ذلك الردع من ايثار العاجلة على الاخرة. أي ردع ثاني على الأول. وقال في ظن العلم المقارب لليقين والضمير في انه أي والامر العظيم أي فراق الحياة.

ذكر القرطبي: هي من الرقية أي هل من طبيب يشفيه. وان ملك الموت يقول للملائكة من يرقى بهذه النفس أي يصعد بها لان الملائكة تكره قربها لكفرها.

يقول الطبري في قوله تعالى ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ يقول لأهله من ذا يرقيني يشفيني مما قد نزل به وطلب الأطباء والمداوين فلم يُغنوا عنه من أمر الله الذي نزل به شيء وأيقن انه الفراق فراق الدنيا والمال والاهل والولد. وذكر عدة اراء في قوله وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ فقال بعضهم والتف شدة امر الدنيا بشدة امر الاخرة وقال اخرون التف ساقا الميت إذا لفتا في الكفن وقيل لالتفاف ساقي الميت عند الموت. وقال اخرون عُني بذلك يبسهما عند الميت. وقيل التف أمر بأمر كما قيل التف بلاء ببلاء. وقال الطبري ان أولى الاقوال عنده التفت ساق الدنيا بساق الاخرة وذلك يكون لشدة هول المطلع والذي يدل على ان ذلك قوله ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ أي المرجع والماب ذلك ان الروح ترفع الى السماوات فيقول الله ردوا عبدي الى الأرض فاني منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة اخرى.

والعرب تقول لكل امر اشتد شمر عن ساقه وكشف عنها. يقول الى ربك يا محمد يوم التفاف الساق بالساق مساقه الى الله وسيحاسبهم يوم يجعل الولدان شيباً من هول الموقف. قال ابن جزي المساق جواب إذا بلغت التراقي وهو مصدر من السوق وقيل هو اسم مصدر أي المرجع والمصير الى ربه.

ابن كثير التف عليه وقال[آدم2]الدنيا والاخرة وهكذا قال ابي طلحة وابن عباس تلتقي أيام الدنيا بالأخرة وقيل الامر العظيم بالأمر العظيم وقال مجاهد بلاء ببلاء وقال الحسن هما الساقان اذا التفتا وفي رواية ماتت رجلاه فلا تحملاه وقد كان عليهما جوالاً وعن الحسن هو لفهما في الكفن وعن الضحاك اجتمع عليه امران ناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه.

ظن ان مفارق الدنيا ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ أي اجتمعت الشدائد والتفت وعظُم الامر وصعب الكرب وأريد ان تخرج الروح التي الفت البدن فتساق إلى الله ليجازيها بأعمالها ويقررها بفعالها فلهذا الزجر زجره الله يسوق القلوب الى ما فيه نجاتها ويزجرها عما فيه هلاكها فالمؤمن سينتفع بالموعظة ولكن المعاند لن ينتفع بالآيات ولا يزال في كفره وعناده.

قال ابن عاشور: ان حمل على ظاهره فالمعنى التفاف ساقي المحتضر بعد موته تلف في الاكفان فالتعريف عوض عن المضاف اليه وهو نهاية وصف الحالة التي تهيأ بها لمصيره الى القبر الذي هو اول مراحل الاخرة. ويجوز ان يكون ذلك تمثيلاً فان العرب تستخدم الساق في الشده وشدة الامر أي طرأت مصيبة على مصيبة. والتعريف في المساق يعم الكل أي مساق الانسان ومرجعه الذي يرجع اليه الى ربه فإلى الله المرجع والماب. كجواب لمن سال متى القيامة. ويجوز ان تكون تفريعاً وعطفاً على قوله الى ربك يومئذ المساق فقد

فارق الحياة وسيق الى لقاء الله خالياً من العدة. وسيندم ويخسر على ما اضاعه من الاستعداد لذلك اليوم.

﴿فَلاَ صَدَّقَ وَلاَ صَلَّى﴾ فلا صدق بالله وكتبه ورسله ولا آمن ولا صلى ولكن كذب بالحق وقيل يحتمل المقصود لم يصدق بالله ورسوله او بمعنى الصدقة واعرض وتولى عن الامر والنهي وهو مطمئن قلبه غير خائف من ربه يذهب الى أهله ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ ليس على باله شيء فتوعده الله بقوله ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ ﴿ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ هذه كلمات وعيد كررها الله لتكرير وعيده أي ستعرف ماذا سيحدث لك ثم ذكر الانسان بخلقه الأول ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ فانت أيها الانسان كنت لا شيء اتحسب ان تترك معطلا لا تسال ولا تؤمر ولا تحاسب ولا تعاقب هذا حسبان باطل وظن بالله بغير ما يليق بحكمته. ايظن الانسان الكافر بالله ان يترك هملا لا يؤمر ولا يتعبد بعباده.

يقول ابن عاشور الاستفهام هنا استنكاري فالله ينكر عليه انه يعتقد انه سيترك سدى دون مجازاة او محاسبة وقال جاء ذكر سدى هنا على طريقة الادماج ايماء ان حكمة خلق الانسان ان لا يتركه خالقه بعد موته فلا يحييه لمحاسبته على حياته الأولى.

يقول ابن عاشور في قوله تعالى ﴿وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ التكذيب تكذيبه بالبعث وبالقرآن وبرسالة النبي والتولي الاعراض عن دعوته ويتمطى يدل على التبختر وانه أهمل الأخرة ولا

يعبأ بدعوة الرسول وذهب لأهله مزدهياً بنفسه غير مفكر في مصيره. ويقول قال ابن عطية نزلت في أبي جهل.

يقول الطبري: ثم ذهب الى اهله يتبختر في مشيته وقيل ان هذه الآية نزلت في ابي جهل.

وقوله أولى لك وعيد على وعيد من الله عز وجل لابي جهل.

ذكر القرطبي: في أولى لك فأولى تهديد بعد تهديد ووعيد بعد وعيد أي وعيد أربعة لأربعة فترك التصديق خصلة والتكذيب خصلة وترك الصلاة خصلة والتولي عن الله خصلة فجاء الوعيد مقابل لترك الخصال الأربعة والله اعلم. فان قالوا هي خمسة ثم ذهب الى اهله يتمطى فنقول تلك كانت عادتهم قبل التكذيب والتولي فأخبر عنها وذلك بين في قول قتاده على ما نذكره.

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى﴾ مني خرج من الرجل واستقر في رحم المرأة ولم تكن شيئاً

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾ كانت دما فخلق الله منها الانسان فسواه واتقنه واحكمه ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ بقدرته وجعل منه الذكر والانثى

﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ بلى يا رب قادر على ان تحيي الموتى لان السؤال أليسَ الإجابة تكون بلى وليس بنعم. ورد حديث عن الامام أحمد عن النبي انه كان بعد قراءة سورة القيامة يقول سبحانك فبلى في فرض ونفل. وقال الشيخ ابن عثيمين يصح ان يقال بلى أو سبحانك فبلى. يقول ابن كثير ان ابن عباس مر على هذه الآية قال سبحانك فبلى. وهي من السنن المهجورة. يقول ابن عاشور هنا

الاستفهام تقريري يقع على نفي ما يراد اثباته. ويقول قد جاء في هذا الختام بمحسن رد العجز على الصدر فالسورة افتتحت بإنكارهم البعث واختتمت تقريرهم بأن الله قادر على احياء الموتى

استخراج بعض الفو ئد من السورة

- وجوب الايمان باليوم الاخر وانه أحد اركان الايمان الستة وانه اتي لا محالة.
- بيان ان النفس اما مطمئنة او لوامة او امارة بالسوء وان النفس اللوامة قد ترقى للنفس الامارة بالسوء ان لامت صاحبها على فعل الخير، وان لامته على فعل الشر ترقى للنفس المطمئنة. وان قسم الله بها دليل على خيريتها فالمؤمن يحاسب نفسه على التقصير.
- ان الله على كل قدير كما خلق الانسان قادر اعادته فلا بد من الايمان بالبعث بعد الموت.
- ان الانسان لا يكذب باليوم الاخر رغم انه من الغيب فالقلب لو تيقن بالأخرة لاجتهد اجتهاداً شديداً. يقول القرطبي: ما رأيت يقيناً اشبه بالشك مثل يقين الناس بالموت ثم لا يعملون له.
- ذكر شارح العقيدة الطحاوية ان النفس واحدة ولكن لها صفات فهي امارة بالسوء ولا تطيع فاذا عارضها الايمان صارت لوامة تفعل الذنب ثم تلوم صاحبها فهي تلوم بين الفعل والترك فاذا قوي الايمان صارت مطمئنة ونفوس الناس قد تضعف فيها صفة وتقوى اخرى. ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واموالهم فجاءت النفس قبل المال. فالنفس من أعظم ما يمتلك الانسان لذا عليه مجاهدتها للوصول بها للنفس المطمئنة، حتى تقول لها الملائكة يا ايتها

النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وذلك لا يكون الا إذا ذل وقهر الانسان نفسه لله.

- بين الله للمعاندين والمكذبين بالبعث ان قدرته مطلقه فهو قادر على تسوية البنان وهي دقة تحار امامها العقول، فالقادر على تسوية البنان قادر على جمع العظام. وفيها الجام للخصم ببيان قدرة الله على فعل كل شيء.
- عن ابن عباس في قوله بل يريد الانسان ليفجر امامه ان الكافر يعيش ليفجر ولا يبالي استبعاداً منه ليوم الجزاء.
- الحديث عن اهوال يوم القيامة حتى تستعد له النفوس وتعطيه قدر. فعندما سئل الرسول عن الساعة قال له: ماذا اعددت لها.
- لا يلزم الإجابة دائما عن الأسئلة فقد يكون من الحكمة صرف السائل عن السؤال على حسب حال السائل وموقفه من الجواب.
- على الانسان ان يدرك ان المرجع والمصير لله عزوجل. وانه سينبأ بكل ما عمل وسيسأل عنه.
- عدم العجلة والتعجل والامر بالتحلي بعدم التسرع.
- تذكير على فضل حفظ القرآن فالحفظ اعلى مراتب استقرار العلم في القلب. مع الاهتمام بالعمل به وليس مجرد الحفظ.
- يقول ابن القيم في قوله تعالى لتعجل به... تضمنت التأني والتثبت في طلب العلم وعدم مبادرة المعلم بالأخذ قبل انهاء المعلم كلامه فعلى طالب العلم وسامعيه ان يصبر على معلمه حتى يقضي كلامه. فالله امره بعدم الاستعجال رغم حرصه على تعلم القرآن وحفظه فمن باب أولى النهي عن الإسراع في قراءته، فالعجلة قد لا تكون محمودة حتى في مقام الخير. فالله أرشد النبي

لاتباع قراءة الملك جبريل فاذا فرغ من الاقراء قرأ خلفه وهو اثبت في الذهن وادعى لعقل المعاني.

- حب الدنيا هو الأساس وقد يطغى على النفوس رغم الاخرة خير وأبقى..
- اثبات رؤية الله للمؤمنين يوم القيامة.
- الظن قد يأتي بمعنى اليقين.
- أكثر ما يحاسب عليه الانسان تركه للصلاة.
- الانسان محاسب ولن يترك سدى.
- على الانسان التواضع فهو مخلوق من ماء مهين.
- أهمية محاسبة النفس
- الحرص على الزهد في الدنيا والاقبال على الاخرة.
- سؤال الله حسن الخاتمة.
- الحرص على محاسبة النفس.
- قول سبحانك فبلى عند ختام السورة.

المتشابه وسبب اختيار الالفاظ واللمسات البيانية

مناسبة قوله تعالى لا تحرك به لسانك وقوله بل الانسان على نفسه بصيرة يقول الله في بداية السورة لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة من سمات النفس اللوامة انها تتعجل تبدأ في الامر ثم تندم عليه وذكر العجلة.

كل أفعال القسم المسندة لله جاءت مسنده بلا لا أقسم بمواقع النجوم. لا أقسم بالشفق فهذا القسم فيه توكيد وتأكيد فهو تأكيد عن طريق النفي وفيه مبالغة في الاهتمام.

جمع الله في القسم بين يوم الجزاء وهو يوم القيامة ومحل الكسب وهي النفس اللوامة ولما كان يوم ميعادها هو يوم ظهور هذا اللوم وترتب أثره عليه قرن بينهما في الذكر.

السورة مبنية على ما ابتدأت به وهو يوم القيامة واحوال النفس ولا تكاد تخرج عن هذا.

أيضاً ان الله لم يقسم بالنفس على الاطلاق وانما بنفس مخصوصة وهي اللوامة فالإنسان يبدا في الامر ويتعجل ثم يندم على ذلك واما يتراخى عن فعل وكان ينبغي له ان لا يتراخى ويغتنم الفرصة فيندم على هذا التباطؤ ايضاً.

تناسب بدء السورة أيحسب الانسان أي ايظن ذلك في نفسه فالحسبان امر نفسي داخلي مع خاتمتها الجمع بين نفس الانسان والقيامة ايضاً. وجواب القسم محذوف تقديره لنبعثنك ليوم القيامة وهذا الحذف يتناسب والعجلة التي دلت عليها النفس اللوامة الذي من صفاتها العجلة. كذلك من ملاحظات هذه الآية انها مرتبطة بما ورد اخر السورة أيحسب الانسان ان يترك سدى فكل انسان سيجد جزاءه، فهنا أجمل ارتباط أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه.

قوله تعالى بلى قادرين على أن نسوي بنانه (خاص بالبنان) فيها تناسب مع ما ورد اخر السورة فخلق فسوى مرتبطة بالخلق العام للإنسان فناسب ذكر الاطلاق والعموم فناسبت كل آية موضعها.

جاء في البحر المحيط في قوله تعالى بلى قادرين على... هنا حذف عامل الحال بلى نجمعها قادرين فهذا الحذف يتناسب مع طبيعة النفس اللوامة التي تميل للعجلة.

بل يريد الانسان... هنا يريد الانسان المداومة على شهواته ومعاصيه ويؤخر التوبة ويقدم الذنب حتى يأتيه الموت. يطيع عمله مسوف توبته فهذا أيضا فيه ارتباط بالنفس اللوامة

لان الانسان يسوف في التوبة ويغره الامل حتى يموت ويقع تحت مطرقة اللوم. جاء باللام الزائدة المؤكدة في مفعول الإرادة ليفجر والأصل يريد الانسان ان يفجر لان فعل الإرادة متعدي بنفسه لا باللام فجاء باللام للتأكيد وشدة حرصه على الفجور وهذا مدعاة للوم البالغ فارتبط ذلك أحسن ارتباط بالنفس اللوامة التي جاءت بصيغة المبالغة اللوامة ولم يقل اللائمة فكانت المناسبة في الفجور المبالغة في اللوم وكيف انه لما بالغ في احداهما بالغ في الاخر.

﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَه﴾ يقول الله عز وجل ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَة﴾ وضحنا أنه لما بالغ في إرادة الفجور بالغ في اللوم في قوله اللوامة ولم يقل اللائمة لأنه صيغة مبالغة للدليل على كثرة اللوم ثم قال سبحانه وتعالى ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَة﴾ وهذا سؤال متعنت ومستبعد ليوم القيامة وقد جاء بأداة الاستفهام أيان التي تدل على شدة الاستبعاد لأنه أصلاً غير مؤمن بالبعث بعد الموت والمستبعد ليوم القيامة هو الذي يقدم الفجور ويؤخر التوبة.

وقال سبحانه بعد ذلك ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾

هذه الآيات كأنها جواب السؤال عن موعد يوم القيامة المستبعد وقوعه فبدأ بالتعبير إذا الدالة على الزمان لأن هذا السائل إنما سأل عن زمانها وموعدها فكان الجواب بالزمان كما كان السؤال بالزمان وبرق البصر معناها دوش فلم يبصر وقيل تحير فلم يطرف وأيضا ضعف هذا البصر والبعض يفهم فهما خاطئا بمعنى لامع ومعناها شخص هذا البصر فلم يبصر وشق البصر من هول ما يرى وهذا يكون يوم القيامة وقيل عند الموت والبعض أيضا يفهم قوله ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَة﴾ انه يريد ان يتلف ويحطم ما

امامه والمعنى الصحيح انه يريد ان يبقى فاجرا فيما بقى له من العمر امامه وهو دليل على شدة ارادته للفجور. وسبب ذكر البصر مع ذكر الشمس والقمر هو ان البصر يعمل مع وجود الشمس والقمر أي النور فإذا لم يوجد ثمة نور لن تبصر شيئا كما قال الله تعالى (ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون) وفي هذا اليوم قد تعطل البصر كما تعطل الشمس والقمر فالبصر برق ودهش ولم يطرف والقمر خسف وجمع الشمس والقمر أيضا قال الله تعالى برق البصر ولم يقل عمي او نحو ذلك والمراد هنا تعطيله مع وجوده فهو موجود ولكن لا يعمل كما فعل بالشمس والقمر فإنه لم يزلهما ويذهبهما وإنما عطلهما فهو تناسب لطيف بين برق البصر والشمس والقمر وأيضا قول الله تعالى

﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾

إشارة على تعطيل الحياة الرتيبة لأن استمرار الشمس والقمر على حالهما دليل على استمرار الحياة فلما يجمع الشمس والقمر دليل على أن الحياة التي اعتدنا عليها ستنتهي والدنيا إنما هي أيام وليالي وآية النهار الشمس وآية الليل القمر فجمعهما معا دليل على تعطيل الحياة التي كان يرجوها مسوف التوبة والمغترون بالأمل والذين يقدمون الفجور أيضا بعد علاقة ذلك انظر علاقته بالنفس اللوامة التي كانت تقدم الفجور ففاجئها ما يستدعي كثرة اللوم أيضا مناسبة هذا بيوم القيامة واليوم يستعمل في احد مدلوليه لمجموع الليل والنهار فناسب ذلك ذكر الشمس والقمر اذ هما دليلا اليوم وآيتاه في الدنيا أما يوم القيامة فهو يوم لا يتعاقب فيه الشمس والقمر بل يجتمعان فيه فلا يكون بعده ليل ونهار بل هو يوم متصل طويل فيوم عند ربك كألف سنة مما تعدون في هذا اليوم يطلب الإنسان الفرار من هول الموقف وفي هذا اليوم يطلب الانسان الفرار ولكن أين يذهب فيجيب رب العزة (كلا لا وزر) أي لا ملجأ يفر إليه الانسان ويحتمي به ولا ملجأ

من الله إلا إليه ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ أي أن المرجع والمآب لله عز وجل فإليه وحده المستقر وهنا تقديم الجار والمجرور يفيد القصر والاختصاص ولم يقل المستقر إلى ربك أي إلى الله عز وجل فقط وليس ثمة مستقر إلى سواه وهذا التقديم يقتضيه الكلام من الجهتين من جهة المعنى وهو الاختصاص والقصر فالله عز وجل إليه وحده المستقر والمآب ومن جهة فاصلة الآية وذكر الشيخ ابن عثيمين: أن من أجل الفواصل قد يقدم المفضول على الفاضل ففي سورة طه كل الفاصلة بالألف فقدم هارون على موسى مراعاة للفواصل وهو أمر يعمل به في ديننا ولكن يجب أن نبحث عن المعنى في الآيات والسورة ولا نقول بمراعاة الفواصل فقط وتقديم يومئذ كذلك يقتضيه الكلام من هاتين الجهتين فقدمت لإفادة أن الاختصاص يومئذ لله عز وجل وأن المرجع والمآب إليه وحده في هذا اليوم ومن اجل مراعاة الفواصل أما في الدنيا فالإنسان قد يجد مستقر يأوي إليه ويستقر فيه ويلجأ إليه ولكن في يوم القيامة فلا يوجد مستقر إلا إلى الله تعالى وتقديم إلى ربك على يومئذ هنا له سبب ان الانسان في تلك يبحث عن مكان يفر إليه ويستقر فيه وقدم له ما يبحث عنه وهو إلى الله أنه لا بد انك ستلجأ إلى ربك لا يوجد ملجا غيره وقال إلى ربك يومئذ المستقر لأنه هو الأهم وهو المقصود إلى الله عز وجل هذا المستقر وهذا الملجأ إلى الله عز وجل في هذا اليوم. واختيار كلمة الرب أيضا اختيار مقصود لأنك عندما تكون في قمة ضعفك وانكسارك اول كلمة تنطق بها هي يا رب فالإنسان في موقف صعب وشديد وفيه اهوال ففي الآية تذكير الانسان بربه وان الانسان في موقف منكسر جدا فاختيار كلمة الرب هو المقصود فالرب هو المالك والسيد والمدبر والمربي والقيم والمنعم بكل شيء مالكه ومستحقه فالله عز وجل وهو رب كل شيء والفار الى من يلجأ هل يلتجئ

إلا إلى سيده ومالكه وصاحب النعمة عليه ومدبر امره والقيم عليه فهو وزره وإليه مستقرة فلا يوجد كلمة انسب من رب فكلمة رب هنا دليل على ربوبية الله على عبده وتربيته له وكلمة مستقر أيضا اختيار دقيق ذلك لان الكلمة تدل على المصدر بمعنى الاستقرار وتدل على اسم المكان بمعنى الاستقرار وتدل على اسم الزمان بمعنى الاستقرار فهي دلت على الاستقرار أي انه لا يجد استقراره الا مع ربه هناك كلمات يكون فيها تدل على اسم المكان والزمان فأنك اذا اردت ان تستقر ستجده عند ربك وستجد زمانه عند ربك وستجد مكانه عند ربك أيضا كما قال الله عز وجل في سورة النبأ (إن للمتقين مفازا) لم يقل فوزا لأن المفاز تدل على الفوز وعلى مكان الفوز وعلى زمان الفوز فهي تشمل جميع المعاني فالمتقين فازوا بالله عز وجل وفازوا بالجنة وهنا المستقر تفيد جميع هذه المعاني تفيد الاستقرار إلى ربك وتفيد موضع الاستقرار سواء إلى الجنة أو النار أن ذلك إلى مشيئته تعالى وزمانه أي في يوم القيامة سيستقر العبد إما إلى هذا وإما إلى هذا فإلى ربك خاصة يومئذ الاستقرار وانهم لا يقدروا ان يستقروا على غيره وعلى حكمه ترجع أمور العباد لا يحكم فيها غيره كقوله (لمن الملك اليوم) فالله موضع قرارهم من جنة او نار او على حكمه. فالزمخشري ذكر المعنيين حكمه أي ترجع الأمور إليه ولا يحكم فيها الا الله عز وجل وإليه مستقرهم أي موضع قرارهم إما إلى الجنة وإما إلى النار أيضا جاء في البحر المحيط قال: أبو حيان المستقر أي الاستقرار او موضع الاستقرار من جنة او نار او إلى مشيئته تعالى يدخل من شاء الجنة ويدخل من شاء النار بما قدم واخر وتفيد زمان الاستقرار وقت الفصل بين الخلائق عائد الى مشيئته تعالى فهم يمكثون في ذلك اليوم ما يشاء الله ان يمكثوا ثم هو يحكم بوقت ذهابهم على موطن استقرارهم فكلمة مستقر أفادت الثلاث معاني علاوة على ما تقتضيه الفاصلة في نهاية الآيات بالراء ولا تغني كلمة

أخرى عنها والتعبير القرآني محكم أشد الاحكام فلو أبدلت بالاستقرار لن تكون في المعنى كمستقر فهي انسب كلمة في هذا الموضع. كلمة واحدة أدت كل هده المعاني.

﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ والمعنى ان الانسان ينبأ بما قدم من عمل خيرا او شرا وبما اخرمن عمل خير او شر من كان عليه ان يعمله ففي الكتاب كتب كل شيء (يا ويلنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها) فالملائكة لا تترك كبيرة ولا صغيرة. وهذا الآية متناسبة مع ذكر النفس اللوامة في بداية السورة في حالتيها اللتين تدعوان إلى اللوم فما كان لها ينبغي ان تفعله فتلوم نفسها او تقعد عن عمل كان ينبغي لها ان تعمله فتندم.

﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾

هنا يذكرنا بالاقتران بين النفس اللوامة ويوم القيامة في مفتتح السورة والمعنى ان الانسان يعرف حقيقته ولو جاء بالحجج.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ وجه ارتباط هذه الآية بما قبلها لان الحجج والاعذار انما تلقى باللسان فهو الاله التي يتحدث بها، والضمير يعود على القرآن فهنا يفهم من المعنى فالرسول امر ان يلقي كل سمعه ولا يتعجل بالوحي. وقوله لتعجل به تعليل لتحريك اللسان فالعجلة المذكورة هنا تتناسب مع جو العجلة في السورة ثم ذكر القرآن بالضمير في الموضعين فلم يأتي ذكر القرآن صراحة ولكن عبر عنه بالضمير. فالاختصار والايجاز في الكلام مناسب لجو العجلة في السورة. فالتعبير جاء مختصرا وكذلك البيان.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَه﴾ قدم الجار والمجرور يفيد الاختصاص والحصر فالجمع على الله وحده فلا يمكن لاحد غير الله ان يفعل ذلك. فهو المتكفل بحفظ كتابه وبيانه وجمع القرآنٍ وتثبيته في الصدور على مر الزمن انما هو من فعل الله وحده وهذا التقديم اقتضاه المعنى كما اقتضته الفاصلة. فلو اخر الجار والمجرور سيختل المعنى ولن يفيد القصر ذلك يعني انه يخبر بان الله ليس هو المتكفل الوحيد بجمع القرآن وحفظه وإدخال إنا هنا افادة التوكيد ايضاً وتفيد التعليل وبينت سبب النهي عن التحريك باللسان لماذا لان الله هو الوحيد المتكفل بجمعه وبيانه وحفظه وتثبيته في الصدور. فلو لم تدخل إنّا فلن تجد له الحسن الذي تجد ولا نفصل الكلام بعضه عن بعض. وتفيد التوكيد لان حفظ الانسان لكل ما يلقى اليه بمجرد سماعه امر غريب والتكفل به يحتاج الى توكيد ولذلك جاء بانّ المؤكدة.

ثم قال: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَه﴾ أي اتبعه بذهنك بفكرك أي فستمع له والاسناد لضمير الجمع هنا دلالة اضافة للتعظيم فهنا ضمير العظمة ذلك لان القارئ هنا جبريل وليس الله لان الرسول استمع القرآن من جبريل.

جاء في التفسير الكبير: جعل قراءة جبريل ونظيرة في حق محمد من يطع الرسول فقد اطاع الله. وجاء في البحر المحيط كما ذكر ابن حبان تعني الملل المبلغ عنا.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَه﴾ **ما** هذا هو البيان المبين للكلام هو الملك ايضاً فهو يقرأ بأمر الله فالله يأمر والملك يبلغ والامر مشترك ولذا عبر بأسلوب الجمع.

هنالك فرق بين (فاذا قرأته فاتبع قرآنه) وبين (فإذا قرآنه فاتبع قرآنه) ففي سورة القيامة تفيد الجمع والتعظيم وأن المبلغ هو جبريل بأمر الله.

كذلك التقديم في ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَه﴾ لان الله هو الذي يبينه ويفيد ذلك القصر والاختصاص، ذلك ان تبيين ما أُشكل منه مختص به الله سبحانه وتعالى.

﴿كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ لم يقل الدنيا وانما عبر عنها بالعاجلة اما في سورة هود والشورى والاعلى عبر بالدنيا بينما عبر في الاسراء بالعاجلة. وهنا لطيفة ان من يريد الدنيا قد يؤتيه منها ان شاء وما له في الاخرة من نصيب (لمن نريد) اما من يريد الاخرة يزد له الله في حرثه فالله كريم يؤتيه من خيري الدنيا والاخرة. فبعد ان كمل طبع النفس اللوامة والتعجل اتى ايضاً بالعاجلة واثارها على الاخرة وهذا طبع عام في البشر فالموضوع واحد وهو العاجلة فكلاهما يعجل ما هو اسير لديه ومفضل عنده فهو مناسبة لجو الآيات وللنفس اللوامة. فكأنه قال بل أنتم يا بني آدم لأنكم خُلقتم من عجل وطُبعتم عليه ومن ثم تحبون الدنيا وتذرون الاخرة.

جاء في روح المعاني: في الآية السابقة تعميم الخطاب للكل أي أنتم يابني آدم لما خُلقتم من عجل وجُبلتم عليه تعجلون في كل شيء وتحبون الدنيا وتذرون الاخرة ويتضمن استعجالها ومنه يعلم ان هذا متصل بقوله تعالى: (بل الانسان ليفجر أمامه) فلا يتعجل بتوبته ويغره عمله ويغمس نفسه في شهواته ويستحب عاجل حياته كما انها متصلة بالنفس اللوامة فأما تعمل ما تندم عليه او تؤخر عمل كان عليها عمله فلم تعمله فتندم على ذلك وما أحرى ان تسمى بالنفس اللوامة لان دواعي اللوم متكاثرة عليها. فهو ندم من الجهتين ولام نفسه من الجهتين فلام نفسه في العجل ولامها في الترك إذا لم يستزيد من الحسنات.

ايضاً اختيار الفعل تزرون في أصله واو محذوفه فاصله توزرون فهنا الواو المحذوفة دليل على العجلة فحتى الفعل ناسب جو العجلة المذكور كثيراً في الآيات. كذلك لم يقل الله تدعون لان الفعل وزر في عموم معانيه يفيد الذم بخلاف ودع ومن معانيه افادة المدح مثل رجل وديع وهنا الموقف موقف ذم لذلك اختار فعل الذم تزرون

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ اختيار كلمة رب وتقديم الجار والمجرور الذي يفيد الاختصاص والقصر فهم متنعمون بالنظر اليه فينسوا ما عداه من النعيم، والجمع بين النضرة وسعادة النظر إلى وجهه الكريم. وفي آية أخرى (ولقاهم نضرة وسروراً) فالنضرة في الوجه والتنعم في القلب أي تمتعت القلوب وظهر أثر التمتع هذا على الوجه فالإنسان لا يتمتع حقيقة الا إذا تمتع قلبه وسعد.

وكلمة رب هنا كذلك مناسبة فهذه الوجوه تنظر إلى ولي نعمتها وسيدها الذي غذاها بالنعم واوصلها اليه. ولم يرد في هذه السورة من أسماء الله الحسنى غير اسم الرب وكل هذا تذكير بربوبية الله وانه خالق الانسان وله مستقره ومرجعه.

ثم ذكر الصورة المقابلة ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾

الوجوه التي ينبغي لأصاحبها ان يكثروا من اللوم والتحسر على ما فرطوا في الدنيا.

والتقديم في الآيتين يومئذ يفيد الاختصاص فهي تتنعم في هذا اليوم أو تشقى فيه ان كانوا من أصحاب الشقاء. فنضرة أصحاب النعيم خاصة بذلك اليوم فربما لم تعرفه في الدنيا اما في الجنة فينسى كل غموم الدنيا وكذلك البسور مختص بهذا اليوم وغمسه واحده في النار تنسيه كل نعيم الاخرة.

﴿ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ وهي الداهية العظيم أي كأنها قصمت الظهر واختيار فعل الظن مناسب لجو السورة والسياق لان الموطن موطن علم فالظن يأتي في القرآن بمعنى اليقين وفسره أكثر المفسرين بالعلم واليقين، فالإتيان بفعل الظن متناسب مع تأخير التوبة ففي الحياة الدنيا بنى حياته على الظن فهو حتى الان يظن لا في حال علم وبصيرة فهو لا يرى الا اللحظة التي هو فيها كما تناسب مع النفس اللوامة فهي لا ترى الا ماهي عليه كذلك مناسب لان الظان لا يدرك العقوبة فيبقى خائفاً فهذا النوع من العذاب لا يعرف مداه ولا كيف يتقيه وما نوع تلك الفاقرة.

وجاء في روح المعاني وجيء بفعل الظن هاهنا دلالة على ان ما هم فيه وان كان غاية الشر يتوقع ما هو اشد منه وهكذا ابداً وان كان ظاناً كان الأشد عليه مما إذا كان عالما موطنا نفسه. على الامر.

يفعل بها فاقرة هنا البناء للمجهول أي هنالك فاعل ومريد للأمر فيفعل بفقار الظهر ما يريد وستقع هذا الداهية عليه لا محاله ولم ينسب الفعل لله تأدباً مع الله فلا ينسب الشر إليه.

﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ ﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴾ الضمير في بلغت يعود للنفس والتاء للتأنيث، كما حذف الفاعل ايضاً في وقيل من راق وجاء في صيغة المفعول الذي لم يسمى فاعله وهو مناسب في اضماره لبلغت التراقي. كما سبق أن وضحت أُختلف في تفسير هذه الآية على وجهين من يرقيه ويشفيه وينجيه من الموت وقيل من يرقى بروحه للسماء ملائكة الرحمن أو العذاب.

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ اختيار فعل الظن مناسب غاية المناسبة فهو اللحظة الأخيرة ولايزال فراق الحياة عنده ظن من الظنون لا يقينا وهنا ظن بمعنى اليقين ومناسب لقوله تعالى: تظن أن يفعل بها فاقرة وفي الموطنين يفترض ان يكون في موطن علم ويقين ومع ذلك لا زال في موقف شك وظن.

وجاء في روح المعاني تفسير الالوسي: ولعله سمي اليقين بالظن لان الانسان مادامت روحه متعلقة ببدنه يطمع في الحياة لشدة حبه في الحياة العاجلة ولا ينقطع رجاءه عنها فلا يحصل له يقين الموت بل الظن الغالب مع رجاء الحياة.

يقول القرطبي في اليقين: ما رأيت يقيناً اشبه بالظن مثل يقين الناس بالموت ولا يعملون له.

﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ قيل لفهما في الكفن وقيل انتهاء أمرهما بالموت

﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ تركيب هذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ تفيد الحصر والاختصاص فسوقهم الى الله وحده لا الى غيره. وتقديم يومئذ أي في هذا اليوم خصوصاً يوم مفارقة الدنيا وهو يوم القيامة. قدم إلى ربك على يومئذ لأنها جهة المساق ومنتهاه ومستقرة فإلى ربه المساق. واختيار لفظ المساق هاهنا لان الآية هاهنا في مفارقة الروح للجسد فيذهب الميت بعد ذلك ويساق إلى ربه ويوضع في القبر مكان الإقامة والمستقر اما الى جنة او الى نار.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾ ﴿وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾

هذه الآيات مرتبطة بما قبلها ومرتبطة بالنفس اللوامة فهو قصر في الطاعات فلا صدق ولا صلى بل وقع في الآثام فلام نفسه على ذلك وندمت النفس في الحالتين. كما ارتبط بقوله بل يريد الانسان ليفجر أمامه فالإعراض له درجات فهنا كذب وتولى واعرض اشد الاعراض فهو مستبعد يوم القيامة فكذب ولم يصلى. كذلك مرتبط بقوله: يُنبأ الانسان لان المعرض يقدم التكذيب والاعراض فهو قدم التكذيب والتولي واخر التصديق والصلاة.

وارتبط فلا صدق بقوله بل الانسان على نفسه بصيرة لان التصديق أمر إيماني في داخل النفس يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فهو لم يصدق وكذب باللسان ولم يعمل بالأركان فانتفت عنه حقيقة الايمان وسيحاول ان يدفع عن نفسه بالمعاذير. كذلك ارتبط بقوله تعالى: أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه فهو لم يؤمن ولم يؤمن بالبعث وأيضا بقوله: بل تحبون العاجلة فهو أحب الدنيا وترك الاخرة وعمل على شهواته. كذلك بوجوه يومئذ ناضرة فلو صدق وصلى لكان من أصحاب الوجوه النضرة ولكنه كذب ولم يصل فكان من أصحاب الوجوه الباسره.

كيف نتدبر السورة ونمررها على قلوبنا

- الحرص على فهم المعاني
- التكرار يعين على التدبر
- الحرص على استخراج الفوائد من السورة
- استخراج بعض الادعية من الآية
- تفقد القلب وسؤال الله التوفيق لتدبر كتابه

- هل عملت بالآيات وهل وجدت قلبي في الآيات
- سؤال الله القلب الخاشع وان يذهب قسوة القلوب
- سؤال الله الصلاح والهدى والثبات والاستجارة بالله والتوكل عليه
- قيام الليل يعين على التدبر وتمرير الآية على القلب

بهذا نكون قد انتهينا من تدبر سورة القيامة نبدأ المرة القادمة بإذن الله تدبر سورة الانسان (أسال الله أن يرزقنا أعماراً مباركة نفنيها في تدبر كتابه وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسنات أباءنا وأمهاتنا وأن يجزيهم عنا خير الجزاء ويجمعنا بهم في الفردوس الأعلى من الجنة دون سابقة عذاب ولا حساب).